جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الموصل/ كلية الآداب
مجلة آداب الرافدين



مَجَلَّةُ

آدَابِ الرَّافِدَيْنِ

مجلة فصليَّة علميَّة مُحكَّمة

تصدر عن كلية الآداب – جامعة الموصل

ملحق

العدد التاسع والثمانين/ السنة الثانية والخمسون

مُحَرَّم – ١٤٤٤هـ / آب ١٨/٨/٢٠٢٢م

رقم إيداع المجلة في المكتبة الوطنية ببغداد : ١٤ لسنة ١٩٩٢

ISSN 0378- 2867
E ISSN 2664-2506

للتواصل: radab.mosuljournals@gmail.com

URL: https://radab.mosuljournals.com



آداب الرافدين

مجلة محكّمة تعنى بنشر البحوث العلميَّة الموثّقة في الآداب والعلوم الإنسانيَّة
باللغة العربيَّة واللغات الأجنبيَّة

ملحق العدد: التاسع والثمانين السنة: الثانية والخمسون/ محرَّم - ١٤٤٤هـ / آب ٢٠٢٢م

قواعد تعليمات النشر

١- على الباحث الراغب بالنشر التسجيل في منصة المجلة على الرابط الآتي:
https://radab.mosuljournals.com/contacts?_action=signup .

٢- بعد التسجيل ستُرسل المنصة إلى بريد الباحث الذي سجل فيه رسالة مفادها أنَّه سجَّل فيها، وسيجد كلمة المرور الخاصة به ليستعملها في الدخول إلى المجلة بكتابة البريد الإلكتروني الذي استعمله مع كلمة المرور التي وصلت إليه على الرابط الآتي:
https://radab.mosuljournals.com/contacts?_action=login .

٣- ستمنح المنصة (الموقع) صفة الباحث لمن قام بالتسجيل؛ ليستطيع بهذه الصفة إدخال بحثه بمجموعة من الخطوات تبدأ بملء بيانات تتعلَّق به وببحثه ويمكنه الاطِّلاع عليها عند تحميل بحثه .

٤- يجب صياغة البحث على وفق تعليمات الطباعة للنشر في المجلة، وعلى النحو الآتي :

- تكون الطباعة القياسية على وفق المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦/ المتن: بحرف ١٤/ الهوامش: بحرف ١١)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطرًا، وحين تزيد عدد الصفحات في الطبعة الأخيرة عند النشر داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأَشياء المشار إليها يدفع الباحث أجور الصفحات الزائدة فوق حدّ ما ذُكر آنفًا .
- تُرتَّب الهوامش أرقامًا لكل صفحة، ويُعرَّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة، ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول ، في حالة تكرار اقتباس المصدر يذكر (مصدر سابق).
- يُحال البحث إلى خبيرين يرشِّحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويُحال – إن اختلف الخبيران – إلى (مُحكِّم) للفحص الأَخير، وترجيح جهة القبول أَو الرفض، فضلًا عن إحالة البحث إلى خبير الاستلال العلمي ليحدد نسبة الاستلال من المصادر الإلكترونيَّة ويُقبل البحث إذا لم تتجاوز نسبة استلاله ٢٠% .

٥- يجب أن يلتزم الباحث (المؤلِّف) بتوفير المعلومات الآتية عن البحث، وهي :

- يجب أَن لا يضمّ البحث المرسل للتقييم إلى المجلة اسم الباحث، أَي: يرسل بدون اسم .
- يجب تثبيت عنوان واضح وكامل للباحث (القسم/ الكلية او المعهد/ الجامعة) والبحث باللغتين: العربية والإنكليزية على متن البحث مهما كانت لغة البحث المكتوب بها مع إعطاء عنوان مختصر للبحث باللغتين أيضًا: العربية والإنكليزية يضمّ أَبرز ما في العنوان من مرتكزات علمية .
- يجب على الباحث صياغة مستخلصين علميين للبحث باللغتين: العربية والإنكليزية، لا يقلّان عن (١٥٠) كلمة ولا يزيدان عن (350)، وتثبيت كلمات مفتاحية باللغتين: العربية والإنكليزية لاتقل عن (٣) كلمات، ولا تزيد عن (٥) يغلب عليهنَّ التمايز في البحث.

٦- يجب على الباحث أن يراعي الشروط العلمية الآتية في كتابة بحثه، فهي الأَساس في التقييم، وبخلاف ذلك سيُردّ بحثه ؛ لإكمال الفوات، أمَّا الشروط العلميَّة فكما هو مبيّن على النحو الآتي :

- يجب أَن يكون هناك تحديد واضح لمشكلة البحث في فقرة خاصة عنوانها: (مشكلة البحث) أَو (إِشكاليَّة البحث) .
- يجب أَن يراعي الباحث صياغة أَسئلة بحثيَّة أَو فرضيَّات تعبِّر عن مشكلة البحث ويعمل على تحقيقها وحلِّها أَو دحضها علميًّا في متن البحث .
- يعمل الباحث على تحديد أَهمية بحثه وأَهدافه التي يسعى إِلى تحقيقها، وأَن يحدِّد الغرض من تطبيقها.
- يجب أَن يكون هناك تحديد واضح لحدود البحث ومجتمعه الذي يعمل على دراسته الباحث في بحثه .
- يجب أَن يراعي الباحث اختيار المنهج الصحيح الذي يتناسب مع موضوع بحثه، كما يجب أَن يراعي أَدوات جمع البيانات التي تتناسب مع بحثه ومع المنهج المتَّبع فيه .
- يجب مراعاة تصميم البحث وأُسلوب إِخراجه النهائي والتسلسل المنطقي لأَفكاره وفقراته.
- يجب على الباحث أَن يراعي اختيار مصادر المعلومات التي يعتمد عليها البحث، واختيار ما يتناسب مع بحثه مراعيًا الحداثة فيها، والدقة في تسجيل الاقتباسات والبيانات الببليوغرافية الخاصة بهذه المصادر.
- يجب على الباحث أَن يراعي تدوين النتائج التي توصل إليها ، والتأكُّد من موضوعاتها ونسبة ترابطها مع الأَسئلة البحثية أَو الفرضيات التي وضعها الباحث له في متن بحثه .

٧- يجب على الباحث أَن يدرك أَنَّ الحُكْمَ على البحث سيكون على وفق استمارة تحكيم تضمّ التفاصيل الواردة آنفًا، ثم تُرسل إِلى المُحكِّم وعلى أَساسها يُحكَّم البحث ويُعطى أَوزانًا لفقراته وعلى وفق ما تقرره تلك الأَوزان يُقبل البحث أَو يرفض، فيجب على الباحث مراعاة ذلك في إِعداد بحثه والعناية به .

تنويه:

تعبِّر جميع الأَفكار والآراء الواردة في متون البحوث المنشورة في مجلتنا عن آراء أَصحابها بشكل مباشر وتوجهاتهم الفكريَّة ولا تعبِّر بالضرورة عن آراء هيأة التحرير فاقتضى التنويه

رئيس هيئة التحرير

المحتـــــويـــــات

علاقة دولتي غانة ومالي بفقهاء المالكيَّة

فائز فتح الله عبدالوهاب* و بشَّار أَكرم جميل **

تأريخ التقديم: 2020/8/16 تأريخ القبول: 2020/9/22

المستخلص:

لقد كان للدعاة والتجار المغاربة دور كبير في نشر الإِسلام في غانة الوثنية بسبب تعاملهم معهم وروح التسامح التي امتازوا بها، وفي المقابل كان إِمبراطور غانة يعفي المسلمين من الضرائب وكذلك بعض العادات والتقاليد التي لا تتوقف وروح الإِسلام وكذلك كان للمسلمين مساجد وأئمة وطلاب علم، وكان لظهور المرابطين في غانة دور في نشر المذهب المالكي وبعد زوال دولة غانة، ظهرت دولة مالي التي أمتاز حكامها بحب الإِسلام ونشر المذهب المالكي وكذلك قيامهم بتعيين المسلمين من العلماء في مناصب ادارية وقضائية ودينية، وكان من أعظم ملوك دولة مالي منسا ولي التي امتازت مُدَّة حكمهِ بالعدل والرخاء والتوسع والسيطرة على بعض مناجم الذهب الذي يمثل مصدراً اقتصادياً مهماً، وفي تلك المُدَّة ازداد وجود الفقهاء المالكية بسبب ازدياد تمسك منسا ولي بالإِسلام وأداء الفرائض الدينية وقام بدعم الفقهاء وذلك لقيامهم بتوعية الناس في أمور دينهم، ومن الحكام الذين دعموا الفقه المالكي منسا موسى الذي كان صالحاً عادلاً ومتمسكًا بالمذهب المالكي وفخوراً بالانتساب اليه، وقام بدعم الفقه المالكي من خلال شراء المؤلفات والكتب المالكية من القاهرة ومنها كتب الموطأ للإِمام مالك والمدونة للإِمام سحنون فقيه أفريقية وكتاب مختصر قليل وهي كتب مميَّزة جداً، ومن العلماء الذين اصطحبهم منسا موسى معه العالم الفقيه عبدالرحمن التميمي الحجازي الذي سكن تنبتكو فوجدها حافلة بالفقهاء والسودانيين الذين تفوقوا عليه في الفقه المالكي، وبعدها رحل إِلى فاس وتعلم الفقه المالكي ثم عاد إِلى تنبكتو وترك فيها بعد وفاتهِ أبناء وحفدة أَسهموا في نشر المذهب المالكي.

* طالب ماجستير/قسم التاريخ/كلية الآداب/جامعة الموصل.

** أُستاذ/قسم التاريخ/كلية الآداب/جامعة الموصل.

الكلمات المفتاحية: الوثنية، مساجد، القاضي.

المقدمة

حظي المذهب المالكي في السودان الغربي بدعم كبير من حكام البلاد منذ السنوات الأُولى لانتشار الإِسلام في تلك البلاد، وتنوع ذلك الدعم بين الترحيب برجال المذهب وتكريمهم، وبين الإِسهام بافتتاح المساجد والمدارس التي اعتنت بتدريس كتب المذهب، وبين افتتاح المكتبات وشراء كتب المذهب المالكي، ومنذ تأسيس أُولى ممالك السودان وغانة وقف حكامها موقفًا داعمًا للمذهب، وكان للحكام دور كبير في نشر المذهب المالكي في دولة مالي ومنهم منسا ولي (652-699هـ/1255-1270م) الذي بتوليه الحكم دولة مالي قد قطعت صلتها بالتقليد السياسي الوثني الذي يجعل من ابن الأخت الملك المرشح الوحيد لخلافة الملك بعد وفاته[1] وأَكَّد منسا موسى التزامه الديني وحرصه على الفرائض الإِسلامية، ومنها فريضة الحج بعد أَن سيطر على المراكز التجارية والثقافية التي كانت حافلة بالفقهاء الذين يفقهون الناس في أُمور دينهم، وكذلك كان لمنسا موسى دور كبير في نشر المذهب المالكي في بلاده عن طريق جلبه الكتب والمؤلفات التي تعود إِلى كبار المذهب المالكي، واصطحب معه عند عودته من رحلة الحج الفقيه الشاعر المهندس أبا إسحاق إبراهيم بن محمد الغرناطي وتوثقت العلاقة بينهما وأَسهم الغرناطي في نشر مهاراته العلمية والأدبية والفنية[2]. ومن الفقهاء الذين أَسهموا في انتشار المذهب المالكي أَيضًا الفقيه أبو العباس سعيد الدكالي الذي قام بمملكة مالي لمدة طويلة وشغل منصب القضاء بالعاصمة مالي أيام السلطان منسا موسى، ومن الأُمور التي ساعدت على نشر المذهب المالكي المساجد التي كانت حافلة بطلبة العلم والفقهاء المالكية الذين يلقون الدروس والوعظ على الناس الَّتي كان يحضرها الملوك في بعض الأَحيان[3].

---

(1) ابن بطوطة، تحفة النظار، شركة ابناء شريف الانصاري للنشر والتوزيع والطباعة، (بيروت : 2007 م)، ج2،ص 71

(2) محمد ابن شريفة، من اعلام التواصل بين بلاد المغرب وبلاد السودان، إبراهيم الساحلي، دوره الثقافي في مملكة مالي، (منشورات معهد الدراسات الافريقية، 1999)، ص 82.

(3) ابن بطوطة، تحفة النظار، ج2، ص 283.

اولاً: علاقة حكام السودان بالفقهاء المالكية:

1. علاقة حكام غانة ومالي بهم:

انتشر الإِسلام في غانة بفضل جهود الدعاة والتجار المغاربة، وساعد على ذلك سكان تلك الدولة الذين كانوا متسامحين مع المسلمين، وكان ملكهم (بسي) محمود السيرة محبًا للعدل والمسلمين[1]، وتؤكِّد الكشوف الأثرية التي أُجريت على موقع عاصمة غانة القديمة ان اقدم مساجد العاصمة بني في القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، ولموقع غانة الجغرافي في نهاية طريق القوافل الغربي الذي يربط بين سجلماسة وغانة دور واضح في توافد التجار المسلمين اليها[2].

وكان إِمبراطور غانة يعفي المسلمين من التقاليد المفروضة على الرعية ومنها التحية له الَّتي كانت تتضمن الجثي على الركب وحث التراب على الرؤوس، اما المسلمين فكانت تحيتهم له التصفيق باليدين[3]، مِمَّا شجع المسلمين على التوافد إِلى غانة، وكان الجزء الخاص بالمسلمين من المدينة يحتوي على مساجد فيها أئمة ومؤذنون وحملة علم[4].

لقد حظي التجار المسلمون المالكيون في غانة باحترام الإِمبراطور لهم وذلك لاستقامتهم وامتلاكهم خبرات متعددة ساعدته في إِدارة شؤون الدولة وتنظيم العلاقات الخارجية مع الدول الأُخرى، وقد جعل الإِمبراطور في مدينته مسجد يصلي فيه الوافدون عليه من المسلمين وكان على مقربة من مجلس حكم الملك، وكان صاحب بيت ماله ومعظم وزرائه من المسلمين المغاربة الذين كانوا على المذهب المالكي[5].

---

(1)أبو عبد الله بن عبد العزيز البكري، المسالك والممالك، دار الغرب الاسلامي، (د. م : 1992 م). ج 2، ص 871.

(2) ابن بطوطة، تحفة النظار، ج 2، ص268.

(3) البكري، المسالك والممالك، ج 2، ص 873.؛ الوزان، وصف افريقيا، ترجمة عن الفرنسية : محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الاسلامي، ط 2، (بيروت : 1983 م)، ج 2، ص 166.

(4) الادريسي، نزهة المشتاق،(ليدن : 1968 م)، ص 4.

(5) السلاوي، الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى، (الدار البيضاء : 1997 م)، ج 3، ص 151.

وحينما حكم المرابطين غانـــة (469 – 481 ه/1076 – 1087 م) ثبتــوا مذهبهم المالكي أَواخر القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، وكذلك الدعوة السلمية للإسلام في السودان الغربي أَثَّرت بشكل جلي في تلك البلاد منذ مطلـــع ذلــك القرن، إِذ كان الانتصار النهائي للإسلام ومذهبه المالكي الَّذي صار الــدين الرســمي للوحدات السياسية واعتنقه الحكام والمحكومين، والإِسلام في السودان الغربي ســبق قيام دولة المرابطين بزمن كبير، وكذلك المذهب المالكي سبق عصر المرابطين، ولكن بظهورهم عم المذهب وانتشر بفضل تحمسهم، وبعد التحديد الزمني لانتشار الإِســلام والمذهب المالكي في السودان الغربي بدأت مرحلة الذيوع والانتشار الواســع، وهــذا عندما سيطرت دولة مالي على معظم مناطق السودان الغربي[1].

وبدأت مرحلة ذيوع المذهب المالكي وانتشاره في السودان الغربـــي بظهــور دولة مالي الإِسلامية التي قامت في تلك البلاد وظهرت كقوة بــارزة علـــى الســاحة السياسية بعد انهيار دولة غانة سنة (600 ه/1203 م) على يد قبائل الصوصــو[2]، مِمَّا أَحدث فراغًا سياسياً في المنطقة الأَمر الذي دفع الولايات والأَقاليم الأَفريقية التي كانت تنضوي تحت لواء غانة إِلى تكوين كيانات سياسية مســتقلة، تصــارعت فيمـــا بينها على السلطة والسيادة إِلى أَن آل الأَمر إِلى قبائل الماندنجو[3]المســلمة القاطنـــة

(1) ابن الجوزي، المنتظم في تاريخ الملوك والامم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، (بيروت: 1992 م)، ج 16، ص 276؛ ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 269 – 270.

(2) قبائل الصوصو : هم فرع من الفولانيين هاجروا من بلاد التكرور وكونوا طبقة حاكمة في كانجابا التابعة لامبراطورية غانة، وبقوا وثنيين ويدفعون الجزية لحكام غانة حتى ظهر ضعف غانة وتدهور نفوذها السياسي، اعلن ملك الصوصو استقلاله ثم هاجم غانة بعد ذلك. ينظر: طرخان، دولة غانة، ص 76 – 77.

(3) قبائل الماندنجو: وهم مؤسسو دولة مالي والتسمية المتداولة بين قبائل الماندنجوهي :الماننكا أو الماندكا أو الماندينغ او مانـنج او ماننجا او ماندج وهي كلها متقاربة، وقد سادت هذه القبائل لبضعة قرون في منطقة فسيحة ممتدة بين نهر النيجر والمحيط الاطلسي في الوديان العليا لنهري السنغال وامتدت نحو الجنوب الى حوالي خط عرض 59 شمالا ولا توجد منها جماعات مبعثرة في مناطق اخرى بحوض النيجر وما حوله. ينظر: طرخان، دولة مالي، ص 26 – 27؛

في إقليم كانجابا، وهذه القبائل يرجع إليها الفضل في إنشاء مملكة مالي الإسلامية التي ميزها عن غيرها ذلك الدور الكبير الذي نهضت به من أَجل توحيد القبائل الزنجية داخل ولايات أَو وحدات أَو ممالك، كذلك دورها البارز في نشر الإسلام والدعوة له في جميع بلاد السودان الغربي في فتره ما بين سنتي (628 – 834 ه/1230 – 1430 م)[1].

ودولة مالي منذ ظهورها حكمت فيها ثمان أُسر لا يعرف عنها إلَّا القليل مثل أُسرة كوروما، وأُسرة ديارا، وأُسرة مركو، وأسرة كامارا، وأسرة باكابوكو، وأسرة النزوريين وأسرة الكونانيين، وأسرة كيتا[2]، وقد قاد سندياتا كيتا[3] قبائل الماندنجو المسلمة إلى النصر، اذ هزم مملكة الصوصو الوثنية المنافسة بزعامة (سومنجارو) في معركة (كيرينا)[4]الحاسمة وقتل إمبراطور الصوصو سنة (633 ه/1235 م)[5]وأتاح هذا النصر السيطرة على الأَجزاء كافة التي كانت ضمن نطاق دولة غانة ويقيموا ودولتهم التي عرفت في التاريخ بمملكة مالي الإسلامية في مُدَّة ما بين (638 – 834 ه/1230 – 1430) على انقاض هذه الدولة، وقام زعماء قبائل

Hunwikj.o : The mid-fourteenth century of Mali , The Journal of African History , Vol , 14. No 2 , (1973) , p 203 ؛

نقلا عن مرجان، فقهاء، ص 61.

(1) طرخان، الاسلام واللغة العربية في السودان الاوسط والغربي، مجلة جامعة ام درمان الاسلامية، ع 2، (1389 ه/1969 م)، ص 17 – 18.

(2) أسرة كيتا: لم تكن هي الأسرة التي حكمت مالي، اذ سبقتها أسر غير معروفة مثل هذه الأسرة، غير انها ادت دورا ما ثم اختفت من مسرح الاحداث. ينظر: طرخان، دولة مالي، ص 33 – 35.

(3)سندياتا كيتا: هو ابن ناري فامغان بن ناري فامغان بن موسى كيتا المشهور بموسى الأكوي، وقد اشتهر سندياتا بلقب (ماري جاطه) وماري معناها الأمير من نسل السلطان، وجاطه معناها الاسد. ينظر: ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 266 ؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج 5، ص 293.

(4)كيرينا: معركة حدثت سنة (633 ه/1235 م) بين سندياتا (ماري جاطه) ورئيس قبيلة الصوصو (سومنجارو) وانتهت بانتصار ماري جاطه وطرد الصوصو من البلاد، ينظر : ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 413.

(5)Nobiakai – AL- Nuraslaam , An Inrestigation of malinke historiography from studiata to AL many samori Torre Howard unirersity , was hington , p. c. 2005. p 2.

الماندنج وبتنصيب سندياتاك إمبراطــور علــيهم ســنة (636 ه/1238 م)، وظهــر سندياتا بلباس يمثل الأُنموذج للخليفة المسلم ليقدم حكام الولايات الــولاء والطاعــة له[1].

وفي السنة التي انتصر فيها سندياتا على ملك الصوصو اتخذ عاصمة جديــدة لمملكته عرفت بــ (نياني)– أَي المدينة الآمنة – وكانت هذه المدينـــة لا تبعــد عــن مدينة جني كثيراً [2]، ومنها كان التحكم بالأمور الاقتصـــادية والسياســية والحربيــة وتلقب هذا الملك (بماري جاطه) أي (الأَمير الأَسد)[3].

كما استعان (ماري جاطه) بقُواده في السيطرة على السودان الغربي، فشهدت مملكة مالي في عهده توسعاً شمل كل الأَقاليم الســودانية فضــمت إقلــيم التكــرور والمناطق التي كانت خاضعة لغانة ومنطقة الصنغاي، وبانصهار هــذه الأَقــاليم فــي مملكة مالي الناشئة، وتكوينها كيان واحد تحولت مالي إلى إمبراطورية عظيمة القوة والاتساع، إذ مارست نشاطها في السودان الغربي كله، وحققت آمالها فــي الميــادين السياسية والاقتصادية كافة، وامتدت من جبال الأَطلس غرباً إلى بلاد الهوســا شــرقاً ومن المحيط الأَطلسي جنوباً حتى الصحراء الكبرى شمالاً، لكنَّ هذه الإمبراطورية قد بلغت أَوج عظمتها وذروة مجدها واتِّساعها إبَّان القرن الثامن الهجري/الرابع عشــر الميلادي، وقد انفتحت دولة مالي على العالم الإسلامي مِمَّا أَسهم في التعريــف بهــا ونمو المؤثرات الإسلامية فيها[4].

استطاع ماري جاطه أَن يوطِّد نفوذه في الأَقاليم التي دخلت في إطار دولتـــه، كما شهدت دولته تطوراً ملحوظاً في الأَنشطة كافة، وامتدت دولته من بــلاد الجلــف عند المحيط الأَطلسي إلى أَواسط النيجر شرقاً ومنفوتا جــالون جنوبــاً إلــى الغــرب

---

(1)الشكري، الاسلام والمجتمع،(ابو ظبي : 1999 م)، ص 181.

(2) ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق : خليل شحاذة، دار الفكر، (بيروت : 1988 م)،ج 6، ص 266، ظلت نياني عاصمة مالي طيلة القرنين السابع والثامن الهجريين/الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين، وتقع نياني على أحد روافد نهر سانكراني. ينظر:الشكري، الاسلام والمجتمع، ص 183.

(3) ابن خلدون، العبر، ج6، ص 266

(4)الشكري، الاسلام والمجتمع، ص 180.

منكومبي صالح عاصمة غانة السابقة شمالاً وصارت مساحة دولة مالي تقــدر بمــا يزيد عن نصف مساحة أُوروبا كلها تقريبًا[1]، ومن عهده اتسعت دولة مــالي وزادت شهرتها وثرواتها مما كان له الأثر في استقطاب الكثير من الوافــدين إليهــا، وفــي مقدمتهم فقهاء المالكية الذين كانوا سبباً في نشر المذهب المالكي[2].

ولماري جاطه دور واضح في انتشار المذهب المالكي في السودان الغربــي، ومن بين ذلك عدم تقدمه إلى مدينة ولاتة، بعد أَن قضى على دولة الصوصو الوثنيــة بسبب لجوء المسلمين إليها عند احتلال الصوصو لعاصمة غانة، ومن بيــنهم عــدد كبير من علماء وفقهاء المذهب المالكي[3].

وجاء بعده ابنه منساولي[4] (652 – 669 ه/1255 – 1270 م) الذي كان أَعظم حُكَّام دولة مالي[5]، وقد اعتمد على قادة ومستشاري أَبيه الذين ساعدوه علــى توسيع مملكته، وقد اتسمت مُدَّة حكمه بالرخاء إلى حد ما والتوســع فــي المنــاطق المجاورة والسيطرة على بعض مناجم الذهب الذي يمثل مصــدراً اقتصــادياً مميَّــزاً ولاسيَّما بعد أَن فتح مدن(جنجرا) و (نقارة)[6] اللتين يوجد بهما مناجم غنية بالــذهب وضمها إلى مملكته،(كونكودوجو) و (سانى نيانجا)و (سانجاران)[7]، كما زحف علــى

(1) طرخان، دولة مالي، ص 43.
(2) مرجان، فقهاء، ص 64.
(3) طرخان، دولة مالي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة : 1973 م)، ص 42.
(4)منساولي : وهو الابن الاكبر لسندياتا ومعنى اسمه السلطان ولي، كما عرف بالملك الاحمر نظراً لكونه ابيض البشرة. ينظر : طرخان، دولة مالي، ص 35.
(5) أبو العباس احمد بن علي القلقشندي، صبح الاعشى،(القاهرة : د. ت)، ج 5، ص 293.
(6)جنجرا ونقارة: مدينتان تابعتان لدولة غانة ضمها ماري جاطه لأملاك دولة مالي بعد ان طرد الصوصو منها، ونقارة يوجد فيها مناجم للذهب. ينظر: الادريسي، نزهة المشتاق، ص 28؛ طرخان، دولة غانة، ص 29.
(7) المقريزي، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق : جمال الدين الشيال، مكتبة الثقافة الدينية، (د/م : 2000 م). ج 1، ص 110، والمدن الثلاث تابعة لأملاك دولة غانة سابقا.

بعض مناطق التكرور وتمكن من أَخذ بعض الرهائن من الأُسرة الحاكمة ليضمن لنفسه ولاء تلك الأُسر[1].

كما ازداد وجود فقهاء المالكية في دولة مالي حينما تولى (منسا ولي) (652 – 669 ه/1255 – 1270 م) الحكم بعد وفاة أَبيه (ماري جاطه)الَّذي بتوليه الحكم تكون مالي قد قطعت صلتها بالتقليد السياسي الوثني الذي يجعل من ابن الأُخت الملك المرشح الوحيد لخلافة الملك بعد وفاته[2].

وأَكَّد منسا ولي التزامه الديني وحرصه على الفرائض الإِسلامية ومنها أَداء فريضة الحج بعد أَن سيطر على المراكز التجارية والثقافية التي كانت حافلة بالفقهاء الذين يُفقهون الناس في أُمور دينهم[3].

وبعد وفاة منسا ولي سنة (669 ه/1270 م) تولى زمام الحكم سبعة ملوك ضعاف[4]، وبدأ الضعف يتسرب إِلى دولة مالي حتى نجح ساكورة (684 – 700 ه/1285 – 1300 م) في انتزاع الحكم من أُسرة كيتا بعد انقلاب تم فيه قتل الحاكم الشرعي، وساكورة هذا ليس من البيت الحاكم إِنَّما هو مولى من مواليهم[5].

وقد اتسع نطاق ملكه وقام بفتح مدينة (جاو) وضمها إِلى مملكته كما غزا بلاد (التكرور) في الغرب و (ونقاوة) و (جاو) حتى صارت شعوب السودان الغربي تخشى بأسه[6]، كما شهد عهده استتباباً في الأَمن والنظام وانتعاش في الحياة السياسية والاقتصادية فتوافد عليها التجار من بلاد المغرب ومعهم الفقهاء

(1) طرخان، دولة مالي، ص 64.

(2) ابن بطوطة، تحفة النظار، ج 2، ص 271؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج 5، ص 294.

(3) مراد، المذهب المالكي، ص 63.

(4) تولى من بعده اخوه (واتى) ثم (خليفة) وكان راميا يرمي السهام على الناس فيقتلهم مجانا فوثبوا عليه فقتلوه وولي عليهم من بعده سبط من اسباط ماري جاطه يسمى ابا بكر وكان ابن ابنته وأصبح الملك على قوانين العجم في تمليك ابن الاخت ولم يتسنى معرفة نسبه ونسب ابنه. ينظر: ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 267.

(5) ابن خلدون، المصدر نفسه، ج 6، ص 267.

(6)الشكري، الإسلام والمجتمع، ص 183.

المالكية[1]، وفي المرحلة الأَخيرة من حكمه قام ساكورة بأداء فريضة الحج في أَيَّـام الملك الناصر محمد بن قلاوون (693 – 741 ه/1293 – 1341 م) واثناء عودته من الأَراضي المقدسة قتل في (تاجورة) بالقرب من طرابلس سنة(700 ه/1300 م) وبذلك اسدل الستار على حكمه الذي استمر خمسة عشر عامًا[2]، ويبدو أَنَّ للشخصيات الثلاثة (ماري جاطه)، و(منسا ولي)،و (ساكورة) دور في مجريات الأَحداث اثناء القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي من تاريخ المملكة وإِليهم يرجع الفضل في تأسيس إِمبراطورية قوية.

وبعد مدة اضطراب وفوضى دامت سبع سنوات نجح ساكورة من اغتصاب الحكم (684– 700 ه/1285 – 1300)، وقد اشتهر بالعدل وحسن السيرة مِمَّا كان له الأَثر الأَكبر في انتشار السلم في هذه البلاد، وهو ما شجَّع فقهاء المالكية على التوافد إِليها من أَفريقية وبلاد المغرب، وكان هذا سببًا من أَسباب ذيوع المذهب المالكي، وانتشاره في دولة مالي[3].

ويُعدُّ عصر منسا موسى (712 – 737 ه/1312 – 1337 م)[4] عصر ازدهار للمذهب المالكي في هذه الدولة، وكان هذا بفضل جهوده المتعددة التي قام بها لدعمه، ويرجع هذا لكنَّه كان ورعاً نقيًا محافظاً على الصلوات وعلى قراءة القرآن والذكر[5]، كما يرجع له الفضل في بناء عدد من المساجد في عدد من مدن دولته ومن أَشهرها المسجد الجامع بمدينة جاو والجامع الكبير في مدينة تنبكتو[6]، وصبغ

(1) ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 267.

(2)الشكري، الإسلام والمجتمع، ص 183.

(3) ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 267؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج 5، ص 294.

(4) كعت، تاريخ الفتاش ،ص 38.

(5) العمري، مسالك الابصار، ج 4، ص 59.

(6) الجامع الكبير: يعد من أكبر جوامع تنبكتو واقدمها ولا يعرف على وجه التحديد تاريخ التشييد الاول له، ويعبر السعدي عن بناء الجامع فيقول: " كان اولاً على صورة متواضعة تتناسب مع حجم السكان بالمدينة في تلك الحقبة "، ويذكر كذلك: " اما الجامع الكبير فالسلطان الحاج موسى (707 – 733 ه/1307 – 1332 م) حاكم ملي هو الذي بناه وصومعته على خمسة صفوف والقبور لاحقة بها من خارجها في جهتين اليمين والغرب ". ينظر: تاريخ السودان، ص 56.

منسا موسى مالي بصبغة إِسلامية واضحة بما شيده فيها من مساجد وبالاحتفالات الباهرة في المناسبات الإِسلامية المختلفة وبرعايته للعلم والعلماء[1].

وكان منسا موسى صالحاً عادلاً متمسكاً بالمذهب المالكي فخوراً بالانتساب اليه، ويظهر هذا جلياً عندما مر بمصر اثناء رحلة حجه سنة (724 ه/1324 م) وزار سلطانها الناصر محمد بن قلاوون (693 – 741 ه/1293 – 1341 م)،وحينما طلب منه أَن يُقبِّل الأَرض في حضرة سلطان مصر المملوكي رفض وأبى وقال : " انا مالكي المذهب لا أَسجد لغير الله "، فأعفاه السلطان الناصر من ذلك التقليد وقربه إِليه وأَكرمه وتحدث معه[2]، وأَمر سلطان مصر وزيره أَن يعني بالضيف الكبير ويجهزه بكل ما يحتاج اليه، كما أَمر بإنزاله بالقصر عند القرافة الكبرى وأَقطعه هذا القصر أَي: جعله ملكه[3].

وكان منسا موسى قد دعم المذهب المالكي في بلاده إِبَّان مُدَّة إقامته في القاهرة عندما قام بشراء كتب الفقه المالكي[4]، ومنها كتاب الموطأ للإمام مالك والمدونة للإمام سحنون فقيه أَفريقية وكذلك كتاب مختصر خليل وهي كتب مرجحة لأهميتها[5]، والتقى منسا موسى بالفقهاء المالكية في مصر وحصل على دعم الصلة بينه وبينهم ومنهم القاضي المالكي(شرف الدين الزواوي)[6] الذي كان له اليد الطولى

(1)J.S.Tirmingham, A History of Islam in west Africa. Oxford 1970 , p 7.

(2) ابن خلدون، العبر، ج 5، ص 496؛ السعدي، تاريخ السودان، ص 7.

(3) السلاوي، الاستقصا، ج 3، ص 151 – 152.

(4) الذهبي، العبر في اخبار من غبر، تحقيق: ابو المهاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، (بيروت: د/ت)، ج 4، ص 69؛ المقريزي، الذهب المسبوك، ص 143.

(5) ابن الوردي، تاريخ ابن الوردي،(مصر : 1868 م)، ج 2، ص 266؛ Lavtzion , N : Islam in west Africa Religion society , and poligion to 1800 , varioum , London , 1999 , p 185 – 186.

(6) شرف الدين الزواوي: هو عيسى بن مسعود بن منصور بن عيسى العجلاني المعروف بأبو الروح، كان فقيهاً عالماً، انتفع به الناس وانتهت اليه رياسته المالكية بالديار المصرية والشامية، توفي سنة (743 ه/1347 م). ينظر : العمري، مسالك الابصار، ص 74 – 75 ؛ السيوطي : حسن

الطولى في الفقه المالكي حتى صار إمام هذا الفقه في مصر وكانت رئاسة الفتوى تعود إليه في الديار المصرية[1]، كما التقى منسا موسى قبل رحلته إلى الديار المقدسة بالفقيه (محمد بن أَحمد بن ثعلب المصري) المدرس بالمدرسة المالكية، وقاضي المذهب، ودار بينهما حديث عن حالة المذهب المالكي في دولة مالي الإِسلامية، وكيفية دعم هذا المذهب في هذه الدولة عبر نقل مؤلفات كبار علماء المالكية بعد شرحها له للتدريس في حلقات العلم بمساجد مالي، وطلب منه منسا موسى أَن يؤلِّف شرحًا (لمختصر أَبي حسن الطليطلي) في الفقه المالكي[2]، وبالفعل وافق ابن ثعلب على القيام بهذا الشرح، والراجح أَنَّ هذا الشرح قد أَخذه منسا موسى من ابن ثعلب بعد عودته من الحجاز إِلى القاهرة بعد أَن أَدَّى الفريضة ثم أَخذه معه في رحلة عودته إِلى بلاده[3].

وأَدَّى منسا موسى دوراً كبيراً في نشر المذهب المالكي في بلاده عن طريق جلبه الكتب والمؤلفات التي تعود لكبار فقهاء المالكية، واصطحب معه عند عودته من رحلة الحج سنة (725 ه/1392 م) الفقيه الشاعر المهندس أَبا إِسحاق إِبراهيم بن محمد الغرناطي الساحلي الذي هناك وتوثقت العلاقة بينهما بعد أَن ظهرت له براعته في فنون عدة منها مهارته العلمية والأَدبية والفنية المتعددة؛ إِذ كان أَديبًا وشاعرًا[4]، كما كان فقيهاً موثقًا ومهندساً معمارياً بارعاً موهوباً يعرف صنعة البناء الرفيعة وما تقتضيه وينفذها على اتقن وأَكمل الوجوه، وذهب معه وسكن مدينة تنبكتو حتى توفي

المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق : محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، (القاهرة : 1965 م)، ج 1، ص 459.

(1) ابن فرحون، الديباج المذهبفي معرفة اعيان علماء المذاهب، تحقيق : محمد الاحمدي ابو نور، دار التراث للطبع والنشر، (القاهرة : د. ت)، ص 283.

(2) ابو الحسن الطليطلي: هو علي بن عيسى بن عبيد التجيبسي، عاش ابان النصف الاول من القرن الرابع الهجري، درس العلم في قرطبة وطليطلة وهو فقيه عالم له مختصر مشهور منتفع به من كبار المالكية في عصره. ينظر: القاضي عياض، ترتيب المدارك، ج 6، ص 171 – 172؛ ابن فرحون، الديباج المذهب، ص 294 – 295.

(3) مراد، المذهب المالكي، ص 64.

(4) محمد بن شريفة، من اعلام التواصل بين بلاد المغرب وبلاد السودان " ابراهيم الساحلي " دوره الثقافي في مملكة مالي، (منشورات معهد الدراسات الافريقية، 1999 م)، ص 82.

سنة (747 ه/1346 م)[1]، ومن أَبرز عوامل استقرار هؤلاء الفقهاء في السودان الغربي وهو حسن المعاملة التي لاقوها من حكام هذه البلاد، ومنهم منسا موسى الذي كان يحسن إِليهم فقد أَعطى لأَبي إِسحاق الساحلي في يوم واحد أَربعة آلاف مثقال[2]، كما اصطحب منسا موسى معه كذلك العالم الفقيه عبد الرحمن التميمي الحجازي[3] الذي سكنتنبكتو فوجدها حافلة بالفقهاء السودانيين الذين تفوقوا عليه في الفقه المالكي[4]، فرحل إِلى مدينة فاس و درس الفقه هناك ثم عاد مرة أُخرى إِلى تنبكتو فسكنها حتى وفاته بعد أَن ترك أَبناءً وأَحفادًا أَسهموا في نشر المذهب المالكي ومنهم حفيده حبيب الذي عاش في أَواخر دولة مالي[5].

ولم يكن عبد الرحمن التميمي الوحيد الذي ذهب للتفقه على المذهب المالكي في مدينة فاس، فقد قام منسا موسى بإيفاد عدد من الطلبة من دولته إِلى المراكز الثقافية في بلاد المغرب، ويقول يوسف كيوك : " إِذا كانت طريق التقوى والورع تنتهي بالسودانيين إِلى مكة المكرمة فإِن طريق العلم تنتهي بهم إِلى فاس"[6] لكن المصادر لم تحتفظ لنا إِلَّا بشخصية كاتب موسى[7]، الذي كان يتولى وظيفة الكتابة

(1) ابن بطوطة، تحفة النظار، ج2، ص 285.

(2) ابن بطوطة، المصدر نفسه، ج2، ص 281.

(3) السعدي، تاريخ السودان، ص 51؛الأرواني، السعادة الأبديةبعلماء تنبكتو البهية، تحقيق : الهادي مبروك الدالي، جمعية الدعوة الاسلامية العالمية، (ليبيا : 2001 م)، ص 93 – 94.

(4)الأرواني، السعادة الأبدية، ص 94، كيف تفوقوا على عبد الرحمن التميمي، وهو من قال عنه سيدي يحيى التادلسي اذا جاء فقهاء سنكري للأخذ عنه فيقول لهم: " يا اهل سنكري كفاكم سيدي عبد الرحمن التميمي، لذلك فالرأي الراجح ان عبد الرحمن التميمي كان شافعي المذهب لهذا تفوق عليه فقهاء تنبكتو المالكيين، فاضطر ان يسافر ليأخذ عن فقهاء المالكية بالقيروان. ينظر :الشكري، الاسلام والمجتمع، ص 225.

(5)الأرواني، السعادة الابدية، ص 94–95.

(6) مرجان، فقهاء المالكية واثارهم في مجتمع السودان الغربي في عهدي مالي وصنغي (628 – 1000 ه/1230 – 1591 م)، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة : 2010 م)، ص 72.

(7) كاتب موسى: هو الامام سيدي احمد (رحمه الله)، عالماً عادلاً عاش في منتصف القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي. ينظر: الأرواني، السعادة الابدية، ص 93 – 94؛ السعدي، تاريخ السودان، ص 57.

لمنسا موسى، وقد أَرسله إِلى مدينة فاس لطلب العلم والفقه المالكي على يـد كبـار الفقهاء الفاسيين[1].

ووجه السودان الدعوة لفقهاء المغرب الإِسلامي للمجيء إِلى دولة مالي، فقد استقدم كاتب موسى معه الفقيه عبد الله البلبالي[2]، بعد أَن قامت بينهما علاقة صداقة قوية اثناء وجوده في فاس فاصطحبه، وسكن البلبالي مدينة تنبكتو، وكـان عبـد الله البلبالي أَوَّل من تولى إمامة المسجد الجامع في تنبكتو من المغاربة[3]، والـراجح أَنَّ هذا الإِمام قد أَسهم في ذيوع المذهب المالكي وانتشاره مُدَّة إِقامته في تنبكتو، فضـلاً عن ذلك فقد كان هناك سودان تفقهوا في المذهب المالكي وأَسـهموا فـي انتشـاره ومنهم الشيخ المؤدب (محمد الكابري) الذي استقر بتنبكتو وقرأ عليه العديد من طلاب العلم[4]، وعاصر كثير من الشيوخ الفقهاء ومن بينهم عبد الرحمن التميمي، كما كان معاصرًا للفقيه (اندغ محمد الكبير)[5].

و من الفقهاء الذين أَسهموا في انتشار المذهب المالكي الفقيـه الثقـة (أَبـو العباس سعيد الدكالي)[6] الَّذي أقام بمملكة مالي مدة طويلة وشـغل خطـة القضـاء

---

(1) مرجان، فقهاء، ص 73.

(2) عبد الله البلبالي: يقول عنه السعدي هو جد جدتي ام والدي، وهو اول البيضان صلى بالناس في ذلك المسجد في اواخر دولة الطوارق وفي اوائل دولة سني علي، ثم جاء الى تنبكتو بصحبة الفقيه الامام القاضي كاتب منسا موسى، كما رجع من فاس وخلفه في الامامة. ينظر: السعدي، تاريخ السودان، ص 58 ؛ اولاتي، فتح الشكور، ص 158 – 159.

(3) السعدي، تاريخ السودان، ص 57.

(4) قرأ عليه الفقه العديد من طلاب العلم منهم: الفقيه عمر بن محمد اقيت. ينظر: السعدي، تاريخ السودان، ص 38.

(5) أندغ محمد الكبير: هو الفقيه ابو عبد الله بن عثمان بن محمد بن نوح معدن العلم والصلاح ومنه ومنه تناسل كثير من شيوخ العلم والصلاح منهم من جهة الآباء ومنهم من جهة الامهات ومنهم من جهتهما معا، فهو عالم جليل قاضي المسلمين قال عنه احمد بابا التنبكتي هو اول من قدم العلم من اجداده فيما اعلم وهو جد جدي لأمه أبو ام جدي " لفظ اندغ محمد من الالفاظ الدالة على التعظيم والتبجيل عند اهل غرب افريقيا في ذلك الوقت ". ينظر: السعدي، تاريخ السودان، ص 27؛ ابو بكر اسماعيل، الحركة العلمية والثقافية، ص 194.

(6)الدكالي: نسبة الى مدينة دكالة وهي تعرف باسم (يمويمن) وتقع بين مدينة مراكش وبين البحر المحيط، وهي مدينة كبيرة. ينظر : الحميري، الروض المعطار، ص 619.

بعاصمة مالي أَيَّام السلطان منسا موسى[1]، وكذلك الفقيه القاضي (أَبو عبد الله محمد بن وانسول) الذي تولى خطة القضاء في مدينة غاو[2]، (والفقيه عبد الرحمن) الـذي كان قاضيًا في نياني العاصمة أَيَّام منسا سليمان[3]، كما أَسهم الفقيه المفتي (الحـاج جد القاضي عبد الرحمن بن أَبي بكر بن الحاج) في ذيوع هذا المذهب ولاسـيَّما أَنَّـه تولى القضاء في تنبكتو زمن دولة مالي[4]، وغيرهم كثير من الذين تفقهوا على فقـه الإِمام مالك، وكان لظهور هذا العدد من الفقهاء سبباً مـن أَسـباب ذيـوع المـذهب المالكي في دولة مالي الإِسلامية، وسار على نهج منسا موسى فـي دعـم المـذهب المالكي، ونشره بين السودان أَخيه السـلطان سـليمان (741 – 761 ه/1341 – 1360 م) الذي كان متفقهًا في هذا المذهب[5].

فقد تعددت جهوده لنشر المذهب المالكي ودعمه، منها قيامه بدعوة عدد مـن فقهاء هذا المذهب إِلى بلاده[6]، ساعد على ذلك العلاقات الودية بين دولتـه والدولـة المرينية في المغرب الأَقصى[7]، وقد أَسهم في دعم المذهب المالكي في إِمبراطوريـة مالي نزوح عدد كبير من فقهاء فاس إِلى إِمبراطورية مالي، وقد التقى ابن بطوطـة بعدد من فقهاء المغاربة اثناء رحلته إِلى مالي[8]، وامتدت جهود منسا سـليمان فـي

(1) ابن بطوطة، تحفة النظار، ج 2، ص 283.
Humwickm. J. o. The mid – Fourteenth century capital of mali The Journal of African History , Vol. 14. no. (1973). p , 196.

(2) ابو عبدالله محمد بن وانسول : وهو من اهل سجلماسة وقد عاصر ابن خلدون وصادقه وأرفده بكثير من المعلومات عن امبراطورية مالي. ينظر: ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 296.

(3) الفقيه عبد الرحمن: وهو من السودان قابله ابن بطوطة اثناء رحلته وأثنى عليه كثيراً. ينظر: ابن بطوطة، تحفة النظار، ج 2، ص 275.

(4) السعدي، تاريخ السودان، ص 27–28.

(5) العمري، مسالك الابصار، ص 59.

(6) العمري، المصدر نفسه، ص 59.

(7) عن علاقة الدولة المرينية بدولة مالي. ينظر: محمد التلمساني بن مرزوق، المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا ابي الحسن، تحقيق: ماريا خيسوس يعبرا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (الجزائر: 1981 م)، ص 454؛ ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 268.

(8) ابن بطوطة، تحفة النظار، ج 2، ص 275 – 277.

دعم المذهب المالكي إلى بناء المساجد والجوامع التي صارت منارة ومركز لتدريس الفقه المالكي، وتأتي شهادة الحسن الوزان لتؤكِّد على هذا الأمر فيقول : " لمملكة مالي مساجد كبيرة وأئمة وأساتيذ يدرسون في المساجد لعدم وجود مدارس[1].

وقد ساعدت هذه المساجد الفقهاء في نشر المذهب المالكي بين السكان عن طريق الخطاب على المنابر فضلاً عن دروس الوعظ بعد الصلاة ما يؤكِّد حرص هؤلاء الفقهاء على أداء تلك المساجد لدورها الفعَّال في نشر المذهب المالكي فضلاً عن تفقيه كثير من أبناء المجتمع في أمور دينهم؛ إذ كان أبناء هذا المجتمع حريصين كل الحرص على طلب العلم متعطشين لتعلم الفقه مع الحرص على أداء العبادات والمواظبة عليها، وقد شاهد ابن بطوطة ذلك عند زيارته لدولة مالي[2].

كما كان للعلاقات السياسية بين حكام مالي والمرينيين أطيب الأثر في دعم الصلات الفكرية بين الدولتين، وترجع بداية هذه العلاقة بين سنتي (723 – 737 ه/1323 – 1337 م) الَّتي أسهمت في انتشار المذهب المالكي في دولة مالي ولاسيَّما في عهد منسا موسى الذي نشأت بينه وبين أبي الحسن المريني (730 – 749 ه/1330 – 1349 م)[3] علاقة صداقة، فضلاً عن عظمة ملكيهما وبفضل خصالهما الحميدة التي تنبع من حب الدين الإسلامي والمحافظة علي شريعته، كما كانا يشتركان في حبهما واحترامهما للفقهاء والعلماء والحرص على مصالح المسلمين أينما كانوا[4]، كما كان للعوامل الإدارية دور في تقوية العلاقة بين الطرفين، فضلاً عن السفارات والهدايا[5].

ومن هذه السفارات سفارة أرسلها منسا موسى إلى أبي الحسن المريني لتهنئته بمناسبة فتحه لمدينة تلمسان عاصمة دولة بني عبد الواد وذلك سنة (737

(1) وصف افريقيا، ج 2، ص 164 – 165.
(2) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص 279–280.
(3) ابو الحسن المريني: هو السلطان علي بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق الملقب بأبو الحسن المنصور بالله، ويعرف عند العامة بالسلطان الاكحل لسمرة لونه، أُمه حبشية، بويع في فاس سنة 731 ه/1330 م بعهد منه. ينظر: الزركلي، الاعلام، ج 5، ص 126.
(4) ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص 133 – 169.
(5) ابن خلدون، العبر، ج 6، ص 268.

ه/1337 م)[1]، واستمرت العلاقات الودية بين مالي والمرينيين في تفاعل مستمر، ومن بين السفارات سفارة الرحالة ابن بطوطة الذي خرج من فاس إِلى دولة مالي سنة (752 ه/1352 م) وتصادف وجوده في مالي اثناء وفاة أَبي الحسن فحضر مراسم عزاء ابي الحسن الذي اقامه منسا سليمان ترحماً على روحه، وكان هذا لعظيم مكانته عنده، وقد استغل حكام دولة مالي الإِسلامية تلك العلاقات الودية في دعم الحياة الدينية والثقافية في دولتهم فأوفدوا طلاب العلم إِلى فاس عاصمة دولة المرينيين[2] ولاسيَّما إِلى جامع القرويين[3].

لقد شهد عصر الدولة المرينية بناء عدد من المدارس الوقفية والعامة[4]، مِمَّا كان سبباً في وفود طلاب العلم إليها لدراسة الفقه المالكي، وتُعدُّ اللغة العربية من أَسباب انتشار المذهب المالكي وذيوعه في دولة مالي الإِسلامية أَيضًا[5].

---

(1) ابن مرزوق، المسند الصحيح، ص 454.

(2) السعدي، تاريخ السودان، ص 57 – 58.

(3) جامع القرويين: كانت بداية هذا الجامع ارضا اشترتها امرأة اسمها فاطمة بنت محمد الفهري وتكنى ام البنين فعزمت على بناء المسجد تجد ثوابه عند الله، وكانت بداية بنائه سنة (245 ه/859 م) وكان مسجدا صغيرا طوله من الغرب الى الشرق مائة وخمسين شبرا (30 م تقريبا)، وكان هذا في زمن دولة الأدارسة ثم توسع مرات عدة، وكذلك في زمن عبد الرحمن الناصر صاحب الاندلس (300 – 350 ه/912 – 961 م) واستمرت التوسعة به حتى صار من أشهر مساجد المغرب الاقصى واعرقها وصار مفخرة حقيقية لمدينة فاس. ينظر: السلاوي، الاستقصا، ج 1، ص 231 – 233.

(4) مثل مدرسة الحلفائيين التي بناها في (675 ه/1275 م) السلطان ابو يوسف المريني (656 – 685 ه/1258 – 1286 م)، كما امر السلطان ابو يوسف عثمان بن عبد الحق المريني (710 – 731 ه/1310 – 1331 م) ببناء مدرستين الاولى مدرسة فاس الجديدة التي اكتمل بنائها سنة (721 ه/1321 م) والثانية مدرسة العطاريين التي بنيت سنة (723 ه – 1323 م). للمزيد عن مدارس فاس ينظر: حسين مراد، الاوقاف مصدر لدراسة مجتمع فاس في العصر المريني، معهد البحوث والدراسات الافريقية، (القاهرة: 2002 م)، ص 84 – 93.

(5)DoI , A. R : Islamic thought and culture. Their Impact on Africa with special Reference to Nigeria. The Islamic Review , October : 1969. p 21.

ونتيجة لدعم حكام السودان للغة العربية انتشرت تلك اللغة وأسهمت في تعزيز فهم السكان للإسلام والتمسك بمذهب الإمام مالك بعد قراءة كتب ذلك المذهب، والشعوب غير العربية ومنها السودانية كان عليها تعلم اللغة العربية؛ لأَنَّه لا يمكن فهم العقيدة الإِسلامية وممارسة فرائضها إِلَّا إِذا تم اتقان اللغة العربية لكونها لغة القرآن الكريم[1]، كما استعمل سكان دولة مالي الإِسلامية اللغة العربية بوصفها لغة مشتركة حية في مختلف مجالات حياتهم الأَمر الذي مكن اللغة العربية من التأثير الفعال في لغاتهم المحلية عن طريق دخول الكلمات ذات الأَصل العربي في اللغات المحلية وصارت اللغة العربية لغة عظيمة ولغة التخاطب بين قبائل نصف القارة السوداء وهذا ما ساعد على تقدم الحضارة الأفريقية[2].

وكثير من فقهاء المالكية العرب والمتكلمين بالعربية من البربر في بلاطات حكام مالي، فقد كان بلاط منسا سليمان يعج بالفقهاء المغاربة الذين أقاموا في دولته أَو الذين دعاهم إِلى بلاده لتدريس المذهب المالكي[3]، وتقرب الفقهاء المغاربة التجار من الدوائر الحاكمة عن طريق الزواج والارتباطات العائلية، فقد كان كبير جماعة البيضان(محمد بن الفقيه الجزولي) متزوجًا ببنت عم السلطان[4]منسا سليمان كما زوج ملك تنبكتو[5] اثنتين من بناته لأَخوين تاجرين مغربيين لفقههما وعلمهما وغناهما[6]، وهكذا تعددت أَسباب انتشار المذهب المالكي في مالي، وبعد أُفول نجم دولة مالي انتقلت السيادة إِلى دولة السنغاي الإِسلامية وتحقق في عهدها السيادة

(1) فوزية يونس فتاح، التأثيرات الحضارية الاسلامية على السودان الغربي بين القرنين (8 – 10 ه/14 – 10 م)، (دهوك : 2013 م)، ص 93.

(2) ارنولد، الدعوة الى الاسلام، ترجمة : حسن ابراهيم حسن وزميله، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة : 1970 م)، ص 349؛ طرخان، الاسلام، ص 33 – 34.

(3) القلقشندي، صبح الاعشى، ج 5، ص 297.

(4) ابن بطوطة، تحفة النظار، ج 2، ص 275.

(5) لم يكن هناك ملك في تنبكتو بل نائب عن حاكم العاصمة غاو والذي يلقب (بتنبكتو كوى)، اما الذي كان موجوداً اثناء مرور حسن الوزان كان يدعى عمر بن محمد الندى (ت 928 ه/1521 م) وقد نصبه أسكيا الحاج محمد سنة (899 هـ/1493 م). ينظر : الوزان، وصف افريقيا، ج 2، ص 166.

(6) ابن بطوطة، تحفة النظار، ج2، 275.

للمذهب المالكي ولاسيَّما إِبَّان حكم الأســاكي (898 – 999 ه/1492 – 1591 م)[1].

2– علاقة حكام السنغاي بهم:

تُعدُّ دولة السنغاي من أَطول الدول عمراً في السودان الغربـــي، فقــد بــدأت بذورها في القرن الأول الهجري/السابع الميلادي وهي بذلك عاصــرت دولـــة غانـــة ودولة مالي الإِسلامية، وضمتها لأملاكها بعد سقوطهما، وبقيت السنغاي على مسرح الأحداث واستمرت في التوسع حتى القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، إِذ انتهت إِثر حملة المغاربة على البلاد سنة (1000 ه/1591 م)[2].

وقد حكمت السنغاي في البداية أُسرة مؤسســـها الأول هـــو (زا)او (ضـــياء) وأصله من اليمن[3] الَّتي ظلت تحكم هذه البلاد حتى سنة (736 ه/1335 م) ثم انتقل الحكم بعدها إِلى عائلة سني[4] التي حكمت بـــين ســـنتي (736 –899 ه/1335 – 1499 م)،وعائلة سني فرع من فروع عائلة ضياء السابقة، وقد تولت عائلة ســـني الحكم عندما استقل بالسنغاي (علي كولن) بعد هروبه من عاصمة دولة مـــالي ســـنة (736 ه/1335 م) هو وأخوه سليمان نار[5].

---

(1) مرجان، فقهاء ، ص 82.

(2) عبد القادر زبادية، مملكة السنغاي في عهد الأسكيين، الشركة الوطنية للنشر، (الجزائر : د/ت)، ص 25.

(3) السعدي، تاريخ السودان، ص 4.

(4)سني: هو لقب يعني المحرر. ينظر: السعدي، تاريخ السودان، ص 3، ومنهم من يرى ان (علي كولن) اتخذ هذا اللقب ليظهر التزامه بسنة الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم)، أي يكون مشتق من السنة المحمدية. ينظر: الشيخ الامين عوض الله، العلاقات بين المغرب الاقصى والسودان الغربي في عهد السلطتين الاسلاميتين مالي والسنغاي، دار المجمع العلمي، (جدة : 1979 م)، ص 66.

(5) تطورت دولة مالي الاسلامية، وعند عودة منسا موسى من رحلة حجه الشهيرة (733 ه/1332 ه/1332 م) رأى ان يثأر من السنغاي فعرج على عاصمتها جاو، وكان ملكها قد مات حديثا وخلف ولدين صغيرين هما علي كولن وسليمان نار فأخذهما منسا موسى الى عاصمته للخدمة على عادتهم فيما يخص ابناء الملوك الذين في طاعتهم. ينظر: السعدي، تاريخ السودان، ص 6.

واستطاع الأَخوان الهرب عندما بلغا مبلغ الرجال من دولة مالي ولجــأ إِلــى العاصمة جاو[1]، ولقي الأَخوان ترحيبًا من الأهالي الذين استقبلوهم اســتقبالاً كبيــراً تعبيراً عن تأييدهم لهما ليتم بعدها طرد الجنود التابعين لدولة مالي الإِســلامية، ثــم كانت المعركة الفاصلة التي دارت سنة(869 ه/1464 م) بين دولة مالي والســنغاي وانتهت باستقلال الثانية عن حكم سلاطين دولــة مــالي وحصــلت الســنغاي علــى الاستقلال التام[2]، وعين (علي كولن) نفسه ملكاً على دولة السنغاي الناشــئة، وقــد حكم من هذه الأُسرة ثمانية عشر أَميرًا[3].

واستمرت أُسرة سني بالحكم إِلى سنة (899 ه/1493 م) عندما قــام القائــد محمد توري[4] أَحد قادة جيش سني علي بانقلاب ضــده للاســتيلاء علــى الحكــم، وبانتهاء حكم أُسرة سني الذي استمر زهاء تسعة قرون[5]، قامت بعدها أُسرة حاكمة جديدة عرفت بلقب جديد هو (الأساكي)[6]ويعدُّ تسلم الاسكيا محمد توري عرش دولــة السنغاي الإِسلامية بدء عهد انتظام المملكة، وبدء سيادة المذهب المالكي، وقد تحققت السيادة في دولة السنغاي لعوامل عدة منها جهود بعــض الحكــام لدولــة الســنغاي

(1) السعدي، المصدر نفسه، ص 6.

(2) فيج جي. دي، تاريخ غرب افريقيا، ترجمة: سيد يوسف نصر، (القاهرة: 1982 م)، ص 62.

(3) منهم علي كلن، سليمان نار، ابراهيم كاباي، عثمان كانافا، باري كينا، محمد دع، محمد كونيجيا، محمد فاري، كاربيغو، مارفي كول، ماري هالي، ماردانو، سليمان دام، علي بير، باري دع، سني مادوجو، سني علي، ابو بكر داعو، وكان هذا اخر حكام اسرة سني علي حيث آل الحكم الى اسرة جديدة وهي اسرة الأساكي وكان ذلك سنة (899 ه/1493 م)، للمزيد ينظر:زبادية، مملكة سنغاي، ص 26.

(4) محمد توري: هو القائد بن ابي بكر، كان من اصل سوننكي كما كان ضابطا بارزا من ضباط جيش سني علي بارو، قام بحركة انقلاب بعد وفاة سني علي واتخذ لنفسه لقب الأسكيا ليكون صفة مميزة لحكمه وحكم سلالته. ينظر: السعدي، تاريخ السودان، ص 71 – 72.

(5) مرجان، فقهاء، ص 85 – 86.

(6)الأساكي، هو لقب اتخذه محمد توري لنفسه ليكون صفة مميزة لحكمه وحكم سلالته، ويشير السعدي الى سبب هذه التسمية " ولما بلغ الخبر بنات سني علي قالت أسكيا معناه وفي كلامهم لا يكون اياه فلما سمعه امر ان لا يلقب الا به فقالو (اسكيا) ومعناه المغتصب لأنه اغتصب السلطة من ابي بكر داعو وهذا اللقب اشتهرت به الاسرة التي اسسها ". ينظر، تاريخ السودان، ص 71 – 72.

ولاسيَّما اسكيا محمد الكبير (898 – 924 ه/1492 – 1582 م)[1]وابنــه اســكيا داؤد(956 – 991 ه/1549 – 1583 م) الذين عملا على تشجيع فقهاء المالكيــة في دولتهما ومنحوهم حرية مطلقة، ويشار إلى أن الاسكيا محمد الذي كــان مــالكي المذهب قد مهد الطريق لفقهاء المالكية للتمكين لهذا المذهب في دولته ساعده علــى أُسرته الصالحة التي أنشأته في بيئة علمية[2].

لقد تمسك الاسكيا محمد بعقيدته الإسلامية والمذهب المالكي، فأبوه كان مــن العلماء، وأُمُّه كانت صالحة تقية[3]، وقد وصلت به العاطفة الدينية الإسلامية إلــى أن أَرجع نسبه إلى الصحابي (جابر بن عبد الله الأَنصاري)، ولهذا نشأ غيوراً ومحباً له، وكان مصلحاً تقيًا لدينه حتى أَنَّه شكل دولته على أُسس الشريعة الإسلامية[4]؛ لــذلك يُعدُّ من أعظم ملوك السنغاي" وكانت علاقته مع علماء، وأَصحاب الحل والعقد جيــدة وأقام الملة وأُمور الدين وفرج الله به البلاء والخطوب والكروب"[5].

وللأسكيا محمد دور كبير في تخليص البلاد من حكم عائلة(سني علي)، وكان بعض حكام هذه العائلة من المتمسكين بالتقاليد الوثنية لذلك خرج اسكيا محمد علــى حاكم الدولة المدعو (سني بارو) سنة (898 ه/1493 م)؛ لأَنَّه كان كوالده سني علي (869 – 898 ه/1464 – 1492 م) متمسكًا بالتقاليد الوثنيــة ومهملًــا لقواعــد الشريعة الإسلامية، فالأَب (سني علي) كان يغلب عليه طابع البداوة كما كــان فــاجراً ظالماً متلاعبًا بالدين[6].

وكان سني علي يحاول التوفيق بين الأَنماط الأَفريقية المرتكزة علــى الســحر والشعوذة، وبين ما جاءت به الشريعة الإسلامية، وكان يخشى مــن علمــاء تنبكتــو لاعتقاده أَنَّهم يهددوا نفوذه باسم الدين، الأَمر الــذي جعلــه يضــطهدهم ويعــاملهم

(1) السعدي، تاريخ السودان، ص 71– 72 .
(2) مراد، المذهب المالكي، ص 69.
(3) مراد، المرجع نفسه، ص 69.
(4) مرجان، فقهاء، ص 87.
(5) السعدي، تاريخ السودان، ص 73.
(6) كعت، تاريخ الفتاش، ص 43 – 44؛ السعدي، تاريخ السودان، ص 67.

بقسوة[1]، وهذا الأَمر جعلهم يهربون من مدينة تنبكتو إِلى مدينة ولات، وقـد تـوفي (سني علي) في ظروف غامضة سنة (898 ه/1294 م) أثناء عودتـه مـن حملـة عسكرية[2] بعد أَن بقي في الحكم سبع وعشرين سنة[3]، وتم تنصيب ابنه الأَكبر (أَبو بكر دوعو) في سنة (899 ه/1493 م) خلفًا له[4]، لكنَّ حكمه لم يمتد سوى بضـعة أَشهر؛ إِذ حاصرته التحديات منذ الوهلة الأُولى، فقد تطلع أَحد قادة جيش والده للحكم وهو (محمد توري بن أبي بكر) الذي حشد قواته وعمـل علـى اسـتقطاب العلمـاء والأَنصار إِلى جانبه، مستفيداً من ممارسات (أبي بكر دوعو) التي كانت لا تتفق مـع روح العقيدة الإِسلامية، فقد بدأ (أَبو بكر دوعو) يستمد سلطته من السحر والشـعوذة والتقاليد الوثنية[5].

واستغل القائد (محمد تورى) عدم التزام (أبي بكر دوعو) بالتعاليم الإِسـلامية فخرج عليه وجعل ذلك مبرراً لإقصائه ونتيجة؛ لذلك أَرسل اليه (محمد تـورى) أَحـد كبار الفقهاء وهو الفقيه العالم الصالح (محمد تل الشريف) يـدعوه للصـلاح، ونبـذ التقاليد الوثنية وإعلان ولائه للإسلام بوصفه دينًا للدولة[6]، وعندما رفض (أبو بكـر

(1)Trmingham. op. cit , p 94.

(2) السعدي، تاريخ السودان،ص 71.

(3) كعت، تاريخ الفتاش، ص 53 – 54.

(4) كعت، المصدر نفسه، ص 52؛ السعدي، تاريخ السودان، ص71.

(5) الوزان، وصف افريقيا، ج 2، ص 161، 164؛ كعت، تاريخ الفتاش، ص 53 – 54.

(6) أرسل الاسكيا محمد الفقيه العالم محمد الشريف الى شي بار يدعوه إلى الإسلام وهو في بلدة أنفع فأبى وامتنع وأغلظ للفقيه بالكلام وارتكب فيه امراً عظيما حتى هم بقتله وصده الله عن ذلك بقهره وغلبته ورجع الاسكيا محمد وبلغه الخبر من ابيه (شي بار) وما فعله به، وبعد ذلك أرسل الاسكيا محمد الفقيه صالح جور الى (وشي بار) ثانيا واتاه وبلغه الرسالة من اسكي محمد فما ازداد الا امتناعا واشار عليه وزرائه بقتل هذا العالم حتى تنقطع رسله ولا يرسل لك مرة ثانية، ولكن الله منعه وقال له اذهب لمرسلك فان رجع الى رسول منه فدقه في عنقك وذهب للاسكيا محمد وأخبره بما حدث وعدم دخوله في الإسلام، فجمع الاسكيا محمد اهل مشورته من العلماء والاكابر وشاورهم في امره فأشاروا عليه بإرسال رسول ثالث يداريه ويلين في الكلام لعل الله يهديه للاسلام، فارسل الفقيه القاضي محمود كعت فامتنع وزاد عنادا وامر بضرب الطبول للحرب وذهب وبلغ الاسكيا محمد بما حدث واستعد للحرب وبايعه الجميع على الموت. ينظر : كعت، تاريخ الفتاش، ص 44 – 46.

دوعو) الاستجابة لدعوة محمد تورى التقى به الأَخير في معركة حاسمة بالقرب مـن (جاو) عاصمة السنغاي ودخل القائد (محمد تـورى) العاصـمة جـاو سـنة (899 ه/1493 م) وبهذا تمت الإطاحة بحكمه وبحكم سلالته لدولة السنغاي الـذي اسـتمر زهاء تسعة قرون[1].

وقد أَدَّى القضاء على أُسرة (سني علي) إِلى اعتلاء (محمد تـوري) عـرش دولة السنغاي[2]، واتخذ لدولته مظهر إسلامي في كل معاملاتها، كما كـان متحمسـاً للإسلام والفقهاء، كل هذا أَدَّى إِلى تعميق الوجود الإِسلامي في الدولـة، وأَدَّى إِلـى ارتفاع شأن المالكية الذين عادوا إِلى مدينة تنبكتو التي فروا منها زمن سني علي[3]، وبعودتهم ورعاية اسكيا محمد لهم وللفقه المالكي، صارت مدينة تنبكتو مركزاً مميَّزاً للفقه المالكي في دولة السنغاي يقصدها الفقهاء وطلاب العلم، وبتولي اسـكيا محمـد الحكم ارتفع شأن المذهب المالكي بسبب جهود الاسكيا الذي اشتهر بالورع والتقوى، كما كان مراعيًا لحرمة الدين ملتزمًا باتباع أَحكامه، وكان له ميل شديد لنشر الإِسـلام وجعله دين الدولة، وكان يأخذ برأي الفقهاء في جميع شؤونه ويسألهم سنة الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) ويسير على أَقوالهم[4] في أمور الدين والدنيا، وأُمـور السلم والجهاد[5].

---

(1) أحمد الشنتاوي، مادة السنغاي، نقلها الى العربية: محمد الفندي، تهران، مج 12، ص 256.

(2) كعت، تاريخ الفتاش، ص 58؛

Michel A. Gomez : Timbuktu under Impetialsong hay , A reconsideration Autonomy , the journal of African history , Gambridge university press , 1990 , p 9.

(3)Eispwth , j , B , A : op , cit. p 35 ؛LansineKABa , L : op , cit , p 254.

(4) ومنها اسئلته للإمام السيوطي في مصر اثناء رحلة حجه. ينظر: البرتلي، فتح الشكور، ص 111، وكذلك اسئلته للإمام المغيلي وعن جهل علماء بلاده بالامور الدينية. ينظر: محمد عبد الكريم المغيلي، اسئلة الاسكيا وأجوبة المغيلي، تقديم: عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (الجزائر: 1974 م)، ص 32.

(5) كعت، تاريخ الفتاش، ص 11 – 12.

وكان لذهاب اسكيا محمد للحج سـنة (902 – 903 ه/1496 – 1497 م) [1] أَثر كبير في دعم المذهب المالكي في دولته وبين رعاياه، فقد قابل فقهاء المذهب بمصر والحجاز والمغرب وفي مقدمتهم الإمام السيوطي (ت 911 ه/1505 م)[2].

وبعد عودته من الحج قام بنشر الإِسلام والتمكين للمـذهب المـالكي ونصـر السنة وأحيا طريق العدل وسار على منهاج الخلفاء العباسيين في المقعـد والملـبس وسائر الأُمور، ومال إِلى السيرة العربية وعدل عن سيرة العجم فصلحت الأَحـوال[3]، واعتنى الحاج الاسكيا محمد الكبير بمحاربة العادات الوثنية، ونشر المذهب المـالكي، وقام باصطحاب الفقيه الصالح (مور صالح جور) ليبيِّن له أَحكام الجهاد في سبيل الله على المذهب المالكي[4]، فخرج سنة (904 ه/1498 م) للجهاد ضد دولـة المـوش الوثنية[5] وقام بإرسال الفقيه (مور صالح) إِلى سلطان الموش يدعوه للإسلام ونبـذ الوثنية أَو الالتزام بدفع الجزية لكن سلطان موش رفض[6]؛ لأَنَّـه اسـتجاب لأوامـر كاهن معبدهم الوثني الذي أشار عليه بعدم ترك دينه ودين آبائه وأَجداده، وعندما نقل الفقيه الصالح (مور صالح) ما دار بينه وبين حاكم الموش استعد اسكيا محمد للقتـال ولاسيَّما أَنَّ أَهل موشقد استعدوا للقتال ودارت معركة بين الطرفين انتصر فيها الحاج

(1) كعت، المصدر نفسه، ص 16.

(2)السيوطي: هو جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي. ينظر: السيوطي، الحاوي للفتاوى، دار الفكر، (بيروت : 2004 م)، مقدمة الكتاب.

(3) محمد الصغير بن الحاج عبد الله الوفراني، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، مكتبة الحادي، ط 2، (الرباط: د/ت)، ص 90.

(4) السعدي، تاريخ السودان، ص 74؛ طرخان، امبراطورية السنغاي الاسلامية، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، مج 8، (الرياض: 1986 م)، ص 16.

(5) دولة موشي: دولة ظهرت في منعطف نهر النيجر، وكانت ذات تنظيم سياسي وعسكري وأهلها من المحاربين الذين هاجموا تنبكتو وخربوها زمن منسا موسى حاكم مالي، وفي عهد السنغاي دخلوا في صراع عسكري مع حاكمها سني عليواسكيا محمد اللذين شنا عليهم حربا باسم الاسلام. ينظر: ميشيل إيزارد، شعوب وممالك منعطف نهر النيجر وحوض الفولتا، تاريخ افريقيا العام، اليونسكو، 1988 م، مج 4، ص 223 – 225.

(6) السعدي، تاريخ السودان، ص 74.

اسكيا محمد[1]، ويتَّضح من خلال ما سبق حرص الحاج اسكيا محمد على محاربة الوثنية والخرافات ونشر الإِسلام وإِعلاء كلمة الله تعالى، وكذلك تقديره لفقهاء المذهب المالكي الذين استعان بهم في أُمور دولته.

كما اتصل الاسكيا محمد سنة (902 ه/1502 م) بالشيخ (محمد بن عبد الكريم المغيلي)[2] الذي يُعدُّ من كبار فقهاء المالكية في عصره، وذكر له الاسكيا جهل بعض علماء بلاده بالأمور الدينية واللغة العربية، مِمَّا جعلهم مؤهلين لتولي مناصب في الدولة فأشار الإمام المغيلي إِلى الاسكيا محمد أَن يطلب الفقهاء والعلماء؛ لأَنَّهم في الأُمَّة مثل الأَنبياء في الأُمم السابقة فلابد من الاعتماد عليهم والسعي وراءهم وأَن يعدوا[3].

وعلى إِثر ذلك قرر الاسكيا الحاج محمد تعيين الفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلي مستشارًا دينيًا له، نظم خلال وجوده هناك حلقات علمية ومارس نشاطه في التأليف وكانت له مناظرات علمية ودينية مع العلماء[4].

وبسبب مكانة علماء المذهب المالكي فقد قرَّبهم الاسكيا محمد، وأَجلسهم في بلاطه بالقرب منه[5] وارتفعت مكانتهم عنده حتى قدم إِلى جاو منتنبكتو لاستقبال القاضي أَبي البركات، عند رجوعه من الحج سنة (924 ه/1518 م)[6].

---

(1) السعدي، تاريخ السودان، ص 74؛ المغيلي، اسئلة الأسكيا، ص 46.

(2)المغيلي: هو ابو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، ولد في تلمسان شمال غرب الجزائر من اسرة بربري في قبيلة مغيلة وهو من العلماء القلائل الذين حفظت مؤلفاتهم وبقيت ذكراهم الى يومنا هذا في بلاد السودان الغربي (ت 909 ه/1509 م). ينظر:التنبكتي، نيل الابتهاج، بتطريز الديباج، دار الكاتب، (طرابلس : 1999 م)، ص 576 – 577.

(3)المغيلي، اسئلة الاسكيا، ص 32؛

Abd – AL – Aziz Abd – Allah Batran : Contribution to the Biography of sheikh muhammdlbn – Abd – AL – Kariamlbn Muhammad , Autonomy The Journal of African History , Vol. 14 , No 3/1973. p 382.

(4) مراد، المذهب المالكي، ص 70.

(5) كعت، تاريخ الفتاش، ص 11 – 55.

(6) السعدي، تاريخ السودان، ص 76.

أَمَّا الاسكيا داؤد فقد سار على نهج الاسكيا محمد في السيادة والتمكين للمذهب المالكي، وكان حافظًا للقرآن الكريم وفقيهاً عالماً بأَحكام هذا المذهب، فقد قرأ كتاب (الرسالة) لأَبي زيد القيرواني (ت 386 ه/966 م)[1]على يد أحد فقهاء المالكية، وفي عهده انتشرت كتب المذهب بفضل نساخ ينسخون له الكتب التي كان يهديها إِلى العلماء والفقهاء، كما قام بإنشاء خزائن ومكتبات للكتب[2].

وعمد الاسكيا إِلى تكوين مكتبة كبيرة وقدم الكثير منها للعلماء وطلاب العلم ليطلعوا على كتب المذهب، وكان الاسكيا داؤد شديد الكرم مع الفقهاء والاحترام لهم، وكان كثير الاحتفاء بهم وظهر ذلك من خلال استقباله للقاضي محمود كعت حينما قدم إِلى جاو وأكرمه، وكان معروفًا بالأعمال الخيرية، فقد حدث أَن منح (الفع محمود كعت) صاحب كتاب تاريخ الفتاش ما يعينه بنفسه لتجهيز بناته الأَربع وأَبنائه الخمسة بمناسبة زواجهم وكانت المنحة ضياعاً وخيولاً وعبيداً وملابس وتكاليف العرس، قد يساعد فيها السلطان إذا كان الطالب له جاه عنده وهذا ما فعله الفع كعت، وكان في تلك المُدَّة يتولى أمر القضاء في مدينة تنبكتو، فعندما أَراد أَن يزوِّج أَولاده الخمسة وبناته الأَربع أَرسل إِلى الاسكيا داؤد مع كاتبه (بكر لنبار) يطلب منه أن يعينه على متطلبات العرس قائلاً: "فنادى الفع كعت كاتبه بكر لنبار فجاء فقال له أَن ابعثك إِلى اسكي بحاجة لنا فقال انا رسولك بلا شك فقال قل لأسكي إِنِّي محتاج قصدناه فان لي أربع بنات وخمسة بنين مقبلون على الزواج ونطلب منه اربع زرابي واربع إماء واربع كلات وان يعينني في جهازهن البنات ام البنون أريد لهم العمامة، وأُريد منه كسوة العام قميصين وعمامتين وقلنسوتين ودابتين فرسا (ورمكه عتيقة) ومزرعة وعبيدها وبذورها أَربعين صلابة ونريد منك يا اسكي الفعان تخبره وتبلغه

(1) ابن ابي زيد القيرواني: هو ابو محمد عبد الله بن ابي زيد عبد الرحمن النفزاوي القيرواني، ولد سنة (310 ه/922 م) شيخ المالكية بالمغرب، كان اماما بارعا في العلوم واسع الثقافة والاطلاع متبعا لطريق السلف داعيا اليه بالقلم واللسان والعمل كثير الحفظ واسع العلم فصيح اللسان يقول الشعر مع صلاح وورع وعفة. ينظر: كعت، تاريخ الفتاش، ص 94 – 95.

(2) كعت، المصدر نفسه، ص 94 – 95؛ طرخان، دولة السنغاي، ص 37.

رسالتي"[1]، وكذلك كان الأسكيا داؤد يزور الفقهاء والعلماء إذا مرضوا ويستمر في عيادتهم إلى أن يتماثل والشفاء ومنهم الفقيه (احمد بن احمد بن عمر أقيت) عندما مرض فيكاغ في بعض أسفاره، وكان السلطان اسكيا داؤد يأتيه كل ليلة يسمر عنده حتى شفي تعظيما له[2].

ثانيًا : تولي رجال المذهب مناصب إدارية ودينية :

1. القضاء :

تولّى رجال المذهب المالكي عدد من الخطط الدينية والإدارية الَّتي يأتي في مقدمتها القضاء والإفتاء، ففي عهد الأسكيا الحاج محمد حاكم دولة السنغاي شغل عدد من فقهاء المالكية منصب القضاء، وكان القاضي المالكي في السودان الغربي عمومًا يتمتع باستقلالية تامة في قراراته ولاسيَّما تلك المتعلِّقة بالأَحكام الشرعية، وحتى اختيار القاضي كان يتم تبعًا لكفاءة المرشح في الأُمور الشرعية، ومكانته في المجتمع التي يحددها حسن أَخلاقه وسمعته بين الناس، ويكون متمتعًا بالورع والصلاح والزهد[3]، وكان فقهاء المالكية يتعاملون في أَحكامهم وفق التزام نصوص المذهب وعدم الخروج عنها إلى غيرها إلَّا ما كان على سبيل الاستئناس، وفي حالة الإفتاء والقضاء كانوا يأخذون بالقول المشهور في المذهب وعدم الخروج عنه إلَّا فيما ندر، ولهذا طغى طابع التقليد في القضاء والإفتاء على الاجتهاد[4].

ولقد صار لكل مدينة من المدن الكبرى قاضي ولاسيَّما على عهد دولة السنغاي تنبكتو وغاو وجني وغيرها من المدن[5]، ويقوم القاضي بالفصل بين الناس وفق الشريعة الإسلامية، وكان هؤلاء القضاة يتسمون بالعدل وحسن السيرة ومنهم من ينتمي إلى عائلة (أقيت) ويأتي في مقدمتهم الفقيه القاضي (محمود بن عمر بن

---

(1) كعت، المصدر نفسه، ص 108.

(2) كعت، المصدر نفسه، ص 115.

(3) مرجان، فقهاء، ص 94 – 95.

(4) محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي، مطبعة المكتبة العلمية، (المدينة المنورة : 1977 م)، ج 4، ص 318.

(5) كعت، تاريخ الفتاش، ص 59.

محمد أقيت)(868 – 955 ه/1463 – 1548م)[1]الذي عينه الاسكيا محمد سنة (904 ه/1498 م) لاشتهاره بالعلم والفقه والصلاح[2].

وكذلك كان حال القضاء في جني، فقد تولى عدد من فقهاء المالكية منصب القضاء منهم (فودي محمد بن سانوا الونكري)، وكان فقيهاً عالماً كبيراً وصلت شهرته إِلى اسكيا محمد الكبير فولّاه القضاء في مدينة جني سنة (904 ه/1498 م) بعد عودته من الحج[3]، أَمَّا قضاة مدينة غاو فقد تولى فيها القضاء القاضي الفقيه (محمود كعت) المولود في مدينة كورما قرب غاو سنة (873 ه/1468 م) وكان معاصرًا لاسكيا محمد الكبير وشغل منصب القضاء نظراً لشهرته الواسعة في الفقه ولسعة علمه[4].

وكان للقاضي الفقيه محمود أولاد منهم القاضي إِسماعيل بن محمود كعت[5]، والفقيه يوسف بن محمود كعت والفقيه محمد الأمين بن محمود كعت وحفيده ابن المختار وهو ابن بنت القاضي محمود كعت صاحب التاريخ وهؤلاء من اسرة كعت وهم أَعلام المؤرخين السودانيين[6]، وكذلك الفقيه (مسربوب الزغراني التنبكتي) الذي الذي ينسب إِلى قبيلة الزغرانين في غرب السودان الغربي، وكان رحمه الله عالمًا فاضلًا خيرًا صالحًا نادر المثال في قبيلته، وقد اشتهر بالعلم والصلاح على الرغم من أَنَّه ينحدر من قبيلة الزغران التي يصفها السعدي والتواتي بأَنَّها لا تعرف الصلاح ولا حسن الإِسلام[7]، وكذلك الفقيه السوداني الأَصل القاضي (أحمد ترف بن القاضي عمر عمر ترف) الجنوي الأَصل والبلد وكان خطيباً ثم صار إمام الجامع ثم قاضياً فجمع

(1)التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 607؛ الأرواني، السعادة الأبدية، ص 90.

(2) السعدي، تاريخ السودان، ص 38.

(3) كعت، تاريخ الفتاش، ص 59؛ السعدي، المصدر نفسه، ص 18.

(4)مادهو بانيكار، الوثنية والاسلام، ترجمة: أحمد فؤاد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة، ط 2، (القاهرة: 1998م)، ص 547.

(5) كعت، تاريخ الفتاش، ص 75، 116؛ التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 578؛ السعدي، تاريخ السودان، ص 39.

(6) كعت، المصدر نفسه، ص 142.

(7) السعدي، تاريخ السودان، ص 51 – 52؛ البرتلي، فتح الشكور، ص 147.

المراتب الثلاث[1]، كما تولى فقهاء المالكية الإفتاء، وهي ضرورية للناس كافة؛ إِذ يحتاجونها في مختلف نواحي الحياة سواء في العبادات أَو المعاملات، و(محمد بن عبد الكريم المغيلي) من أَبرز من تولوا هذه الوظيفة، فقد وجه اسكيا محمد أَسئلة عدة للمغيلي في مسائل اجتماعية دينية وسياسية، وهذا حرص من اسكيا محمد على إِصلاح حال البلاد وفق الشريعة الإِسلامية والمذهب المالكي[2].

الخاتمة:

وفي الختام... تسجيل عدد من النتائج التي توصلت إِليها الدراسة:

1- إِنَّ الكثير من الفقهاء المالكية كانوا تجاراً وأَصحاب خبرة فقد أَسهموا في إدارة الدولة وحضوا بعناية الإِمبراطور واستخدمهم للشؤون الإدارية والقضائية في دولته.

2-حظي الفقهاء المالكية بالامتيازات من الإِمبراطور، وكان منها إعفاؤهم من حث التراب على رؤوسهم والاكتفاء بالتصفيق باليدين وكذلك خصص الإِمبراطور جزءًا من المدينة للمسلمين يكون فيه المساجد والأَئمة والمأذونون وحملت العلم.

3-عند قيام دولة مالي الإِسلامية الَّتي حكمها ثمان أُسر وتوسعت في كافة الميادين واستقطبت الكثير من الوافدين، وفي مقدمتهم فقهاء المالكية الذين كانوا سبب في نشر المذهب المالكي في تلك الدولة.

4-اعتنق الكثير من حكام دولة مالي المذهب المالكي على يد الفقهاء المالكية، وكانوا هؤلاء الحكام فخورين بالانتساب؛ لهذا المذهب وكان منهم منسا موسى الذي ذهب للحج وزار السلطان الناصر محمد بن قلادون وحينما طلب منه تقبيل الأرض رفض ذلك وقال "انا مالكي المذهب لا أَسجد لغير الله".

5-لقد ساعد الفقهاء المالكية على نشر المذهب المالكي في مناطقهم التي سكنوها من خلال الخطط والمواعظ والدروس، وجلب الكتب والمؤلَّفات في بلاد الحجاز، ومصر والمغرب وكذلك ساعد هؤلاء الفقهاء على نشر اللغة العربية بين السكان.

---

(1) السعدي، المصدر نفسه، ص 19 – 20.

(2)التنبكتي، نيل الابتهاج، ص 576 – 577؛ الأرواني، السعادة الأبدية، ص 85.

References :

1. Abd al-Aziz Abd Allah Batran, "Contribution to the Biography of Sheikh Muhammad ibn Abd al-Karim ibn Muhammad," Autonomy The Journal of African History, Vol. 14, No. 3/1973, p. 382.
2. Abdul Qadir Zabadiyah, "The Kingdom of Songhai during the Askiya Era," National Publishing Company, Algeria: n.d., p. 25.
3. Abu Abdullah Ibn Abdul Aziz Al-Bakri, "Al-Masalik wa al-Mamalik," Dar al-Gharb al-Islami, 1992, Vol. 2, p. 871.
4. Al-Bakri, "Al-Masalik wa al-Mamalik," Vol. 2, p. 873; Al-Wazan, "Description of Africa," translated by Mohammed Haji and Mohammed Al-Akhdar, Dar al-Gharb al-Islami, 2nd edition, Beirut: 1983, Vol. 2, p. 166.
5. Al-Omari, "Masalik al-Abasar," p. 74-75; Al-Suyuti, "Hasan al-Muhaddarah fi Tarikh Misr wa al-Qahira," edited by Mohammed Abu al-Fadl Ibrahim, Dar Ihya al-Kutub al-Arabiyya, Cairo: 1965, Vol. 1, p. 459.
6. Al-Saadi, "Tarikh al-Sudan," p. 51; Al-Arwni, "Al-Saadah al-Abadiyya bi Ulama' Tinbuktu al-Bahiyya," edited by Al-Hadi Mabrouk Al-Dali, International Islamic Call Society, Libya: 2001, p. 93-94.
7. Al-Saadi, "Tarikh al-Sudan," p. 74; Tarakhan, "The Islamic Empire of Songhai," Journal of the College of Arts, King Saud University, Vol. 8, Riyadh: 1986, p. 16.
8. Al-Salawi, "Investigation of the News of the Farthest States of Morocco," Dar Al-Bayda: 1997, Vol. 3, p. 151.
9. Al-Tanbukti, "Nayl al-Ibtihaj," with embroidery by Al-Dibaj, Dar Al-Katib, Tripoli: 1999, p. 576-577.
10. Arnold, "The Call to Islam," translated by Hassan Ibrahim Hassan and his colleague, Maktabat al-Nahda al-Masriyya, Cairo: 1970, p. 349; Tarakhan, "Islam," p. 33-34.

11. DOI, A.R., "Islamic Thought and Culture: Their Impact on Africa with Special Reference to Nigeria," The Islamic Review, October 1969, p. 21.

12. Fawzia Yunus Fattah, "Islamic Civilizational Influences on Western Sudan between the 8th and 10th Centuries AH/10th and 14th Centuries CE," Dohuk: 2013, p. 93.

13. Humwickm, J.O., "The Mid-Fourteenth Century Capital of Mali," The Journal of African History, Vol. 14, No. 1973, p. 196.

14. Hussein Murad, "Al-Awqaf as a Source for Studying the Society of Fez during the Marinid Era," Institute for African Research and Studies, Cairo: 2002, p. 84-93.

15. Ibn al-Jawzi, "Al-Muntazam fi Tarikh al-Muluk wa al-Umam," edited by Mohammed Abdul Qadir Atta and Mustafa Abdul Qadir Atta, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut: 1992, Vol. 16, p. 276; Ibn Khaldun, "Al-'Ibar," Vol. 6, p. 269-270.

16. Ibn al-Wardi, "Tarikh Ibn al-Wardi," Egypt: 1868, Vol. 2, p. 266.

17. Ibn Battuta, "Tuhfat al-Nuzzar," Ibn Shurayf Sons Company for Publishing, Distribution, and Printing, Beirut: 2007, Vol. 2, p. 71.

18. Ibn Farhun, "Al-Dibaj al-Madhhab fi Ma'rifat A'yan 'Ulama al-Madhahib," edited by Mohammed Al-Ahmedi Abu Noor, Dar al-Turath lil-Tai'a wa al-Nashr, Cairo: n.d., p. 283.

19. J.S. Trimingham, "A History of Islam in West Africa," Oxford, 1970, p. 7.

20. LaVzion, N., "Islam in West Africa: Religion, Society, and Politics to 1800," Variorum, London, 1999, p. 185-186.

21. Madhu Panikar, "Al-Wathaniah wal-Islam," translated by Ahmed Fouad Bilbao, Supreme Council of Culture, 2nd edition, Cairo: 1998, p. 547.

22. Marjan, "Fuqaha' al-Malikiyyah wa Atharuhum fi Mujtama' al-Sudan al-Gharbi fi 'Ahdai Mali wa Songhay (628-1000 AH/1230-1591 CE)," Maktabat al-Thaqafah al-Diniyyah, Cairo: 2010, p. 72.

23. Michel A. Gomez, "Timbuktu under Imperial Songhay: A Reconsideration of Autonomy," The Journal of African History, Cambridge University Press, 1990, p. 9.

24. Muhammad Abdul Karim Al-Maghili, "As'ilat al-Askia wa Ajwibat al-Maghili," edited by Abdul Qadir Zabadiyah, National Publishing and Distribution Company, Algeria: 1974, p. 32.

25. Muhammad al-Tlemsani ibn Marzuq, "Al-Musnad al-Sahih al-Hasan fi Ma'athir Mawlana Abi al-Hasan," edited by Maria Jesus Yebra, National Publishing and Distribution Company, Algeria: 1981, p. 454; Ibn Khaldun, "Al-'Ibar," Vol. 6, p. 268.

26. Muhammad ibn al-Hasan al-Hajjawi al-Tha'alibi, "Al-Fikr al-Sami fi Tarikh al-Fiqh al-Islami," Matba'at al-Maktabah al-Ilmiyyah, Medina: 1977, Vol. 4, p. 318.

27. Muhammad Ibn Sharifah, "The Communicative Links between the Maghreb and Sudan," Ibrahim Al-Sahli, His Cultural Role in the Kingdom of Mali, Publications of the Institute of African Studies, 1999, p. 82.

28. Nobiakai - AL-Nuraslaam, "An Investigation of Malinke Historiography from Studiata to Almany Samori Torre Howard University, Washington, D.C., 2005, p. 2.

29. Sheikh Amin Awad Allah, "Relations between the Farthest Morocco and Western Sudan during the Islamic Dynasties of Mali and Songhai," Dar al-Majma al-Ilmi, Jeddah: 1979, p. 66.

30. Tarakhan, "Islam and the Arabic Language in Central and Western Sudan," Journal of the Islamic University of Omdurman, Issue 2, 1389 AH/1969, p. 17-18.

31. Vijay D. Mahajan, "History of West Africa," translated by Sayed Youssef Nasr, Cairo: 1982, p. 62.

The Relation between both Ghana and Mali with Malikia Jurists

Fayz Fathallah Abdul Wahhab *

Bashar Akram Jamil *

Abstract

Moroccan preachers and merchants had a great role in spreading Islam in the paganism Ghana because of their dealings with them and the spirit of tolerance that they distinguished, and in return, the emperor of Ghanah exempted Muslims from taxes as well as some of the customs and traditions that do not stop and the spirit of Islam as well as Muslims had mosques, imams and students of knowledge, and the emergence of The Almoravids of Ghana have a role in spreading the Maliki school of thought, and after the demise of the Ghana state, The state of Mali emerged, whose rulers were distinguished by the love of Islam and the propagation of Maliki doctrine, as well as their appointment of Muslim scholars to administrative, judicial and religious positions. One of the greatest kings of the state of Mali was (Mansa) whose rule period was marked by justice, prosperity, expansion, and control over some gold mines, which is an important economic source, and in During this period, the presence of the Maliki jurists increased due to the increased attachment of Mansa to Islam and the performance of religious duties, and he supported the jurists because they educated people about matters of their religion, Among the rulers who supported Maliki jurisprudence was Mansa Musa, who was just, righteous, adhering to the Maliki school and proud of affiliation with him, and he supported Maliki jurisprudence by buying literature and Maliki books from Cairo, including the books of al-Muwatta by Imam Malik and the blog of Imam SahnounFakih al-Afriqiya and a few short books which are very important books, Among the scholars who were accompanied by Mansa Musa with him, the scholar, the jurist, Abd al-Rahman al-Tamimi al-Hijazi,

* **Master Student/Department of History/College of Arts/University of Mosul.**

* **Prof/Department of History/College of Arts/University of Mosul.**

who inhabited Timbuktu, and found it full of jurists and Sudanese who excelled in it in Maliki jurisprudence.

Key words: Judge , Mosques, Idolatry.